قصة اجتماعية

ثمن الشهرة

" عن الانجليزية "

كان ذلك عقب تخرجنا من الكلية ، عند ما دعوت إلى منزلى زميلتى " إينا الدرج " و" جنفر باورز " ، وساقنا الحديث إلى المستقبل ، وكان الكلام عنه طبيعيا فقد تعودنا أن نبحث الموضوع قبل أن تبدأه أى واحدة منا ، وكانت نشأتنا فى قرية " وسمورلاند " الهادئة تجمع بين عواطفنا وقلوبنا ، وكانت الواحدة منا تتمنى لمجموعتنا مثل ما تتمنى لنفسها ، وكان مجرد فكرة انفصالنا بحكم ظروف المستقبل تثير فى أنفسنا ألما دفينا ، وحزنا عميقا .

" لندن " . . . انطلقت هذه الكلمة من فم " إينا " فى شىء من المرح والشوق والتمنى ثم قالت : يالها من مدينة رائعة . . . لقد كدت أطير فرحا حينما وعدتنى عمتى بقضاء عام عندها فى لندن . . . ، إننى أتخيل الحفلات العامرة والنوادى الليلية والمسارح الفخمة حيث تعج بكثير من الرجال . . الرجال الأغنياء ، سأتزوج أحدهم ولسوف يتلألأ اسمى فى النوادى الاجتماعية . وسأقتنى المجوهرات النفيسة والفراء الفاخر ، وأحيط نفسى بجيش من الخدم والحشم .

وبغتة قفزت زميلتنا "جنفر" من مقعدها قائلة وهى تتخذ سمات الجد : أما أنا فلسوف أصبح أعظم ممثلة عرفها المسرح ، وفى يوم ما ستقولين يا " إينا " لزوجك الثرى "إنى أعرف النجمة الساطعة "جنفر باورز" . ثم اتجهت نحو المرآة رافعة رأسها مزدهية بشعرها الأحمر الفاتن الذى يحيط برأسها ويزيدها فتنة وحلاوة ، وقد تألقت عيناها الخضراوان وكأنما سبحتا فى سماء المستقبل اللازوردية . ثم قالت فى تأكيد "سأكون نجمة متألقة" . ثم مالت لتتناول قطعة من الحلوى واستطردت قائلة وهى تنظر إلى : أما أنت يادودى فما عساك تتوين عمله ؟ . فأجبت قائلة : ليست لى عمة مثرية مثل إينا ، ولست أملك المواهب التى تؤهلنى لأن أصبح نجمة متألقة مثلك ، فليس أمامى إذن سوى المكث هنا وتلهفى على ما قد ترسلانه لى من رسائل . وعند ما تبلغان ذروة الشهرة والمجد سأقول مفاخرة بكما . . . " لقد عرفتكما فى يوم من الأيام " .

ولكن "إينا" التى لم يعجبها قولى هتفت قائلة : أنت فى منتهى الغباء ! لماذا لا تقبلين دعوة عمتى لك وترافقيننى ؟ ولم تدفنين نفسك فى هذه البلدة العابسة؟ هيا تعالى معنا وابحثى عن واحد من أصحاب الملايين .

وفى طريق إلى منزلنا قابلت " بيتر" وحدثته عن مطامع " إينا " وأحلام جنفر ، ولا ريب أنه استشعر منى حسدا لهما فقال لى :

كان يجب أن ترافقيهما فانت أنشط وأذكى من جنفر كما أنك أجمل وأفتن من إينا .
فقلت له :

هناك ما يمنعنى من الرحيل ، فإن علاقتنا ليست علاقة خاطب بخطيبته ولكنها صلة نبتت مع الطفولة وترعرعت فى الصبا وستزدهر فى مقبل الأيام .

فأجابنى بتأثر : دودى ، أن كل ما يمكننى أن أمنحك إياه من الحياة هو أن تكونى زوجة فلاح : سيكون ذلك شاقا عليك ياعزيزتى وربما لانكون أغنياء أبدا ، فقلت : يكفينى من الغنى والثروة سعادة كل منا بجانب الآخر .

كتبت إلى صديقتاى كثيرا فى بادئ الأمر وكانت رسائلهما مسهبة . حافلة بأخبار المجتمع اللندنى وبالأشخاص الذين يقابلونهم إلى غير ذلك من الأشياء التى تحسها فتاة الريف عندما يبهرها وهج المدينة . وفى نهاية خطاباتهما كانتا تسألانى عما اذا كنت غيرت رأيى أم مازلت مصرة عليه ؟

كنت فى قريتى أسعد حالا فى نظر نفسى فقد ربحت عدة صفقات من محال الأزياء وبعض الأشغال اليدوية الأخرى ، وكادت سعادتى تفوق أى سعادة فى العالم عندما هرع إلى بيتر يزف إلى بشرى ابتياعه إحدى المزارع الصغيرة وكان عقد الملكية يساوى فى نظرى أثمن تيجان العالم ، فكيف بآمال " جنفر " ومطامع " إينا " .

تقدم بيتر يطلب يدى فقبلنا وقلت له وأنا ألوح له بعقد المزرعة " سأتعلم كيف أحلب بقرتنا و ... ... " فقال :

سوف لاتقومين بشىء من هـــذا أبدا ، سأؤدى أنا كل شىء ، وكل ما أرجوه عند أوبتى من الحقل أن أجد فى انتظارى قلبا حنونا يقدر جهدى ويسعى للتخفيف عنى .

وبعد شهر تنبهت على صوت الكاهن وهو يقول لنا ساعة العقد "إلى أن يفرقنا الموت" ولكنى كنت واثقة أن الموت نفسه لا يقوى على التفرقة بينى وبين بيتر .

لم نجعل لرحلة شهر العسل أهمية من زواجنا ، فقد كانت كل أيامنا الأولى شهدا لايتذوقه إلا السعداء القانعون ، وكان كل يوم يمر علينا سعادة جديدة فكان بيتر يؤدى عمله فى الحقل وكنت أنا أتم عملى فى المنزل من طهى إلى تنظيف ، وإذا حان موعد أوبته هرعت إلى النافذة أرقب طريقه ثم أهرول لأستقبله ، وأنا بين كل هذا سعيدة كل السعادة .

وقالت جنفر : نعم يادودى يجب أن تذهبى إلى لندن وهناك تنتهجين الطريق الذى يحلو لك فى الحياة ، فليس لزاما عليك أن تتزوجى المال فحسب .

لم أكترث لحديثهما أكثر من ذلك فقد سمعت صوت خطيبى ورفيق طفولتى " بيتر " فأسرعت إلى النافذة أشير له بيدى محيية وهو يبتعد بعربته الصغيرة .

ولما عدت إلى مكانى رأيتهما يتبادلان النظرات وقد هزت إحداهما رأسها، وأمنت الثانية على ذلك بهزات متتابعة من كتفيها .

كانت نظراتهما واضحة المعنى مفهومة المعزى ، فهما ترثيان لحالى وضياع مستقبلى ، فكدت أخرج عن طورى وهما يريان فى هذا الرأى وصحت بهما :

— لست أريد مليونيرا ولست أطمع فى شهرة ، إننى هنا فى أوج السعادة ، فقالت إينا " انتظارا لبيتر خطيبك عندما يقتنى ثروة تمكنه من زواجك ، و بعد ذلك تزورين معه فى إحدى القرى حيث تتطلعين إلى ازدياد المحصول ليمكنك الحصول على ثوب جديد .

وقالت جنفز :

— ليس من العدل فى شىء أن تقللى من قيمة نفسك فى نظر نفسك ونظر الناس أنت فى شرخ الشباب ونضارة الصبا ، والمستقبل يضمن لك عيشا أسعد من عيشك هنا ، وفى لندن ستقدمين إلى رجال أثرياء لاشك سيتمنون زواجك و إحاطتك بمختلف ألوان السرور والرفاهية ، وليس هناك ما يرغمك على البقاء هنا ، كما أنك لست من الفتيات اللاتى يقعن فى شراك الحب حتى تتعلق بالبقاء منتظرة مستقبل بيتر المجهول .

عندئذ تطلعت إلى الخاتم البسيط الذى أهدانيه خطيبى بيتر ، فأعاد إلى ذاكرتى صورته المهذبة النقية المخلصة فقلت فى هدوء :

لو اجتمع زين الرجال فى صعيد واحد ، هم وأموالهم وآمالهم لأعرضت عنهم ومضيت أفتش عن خطيبى الطيب القلب بيتر . فلا فائدة من استمالة رأسى ، فلن يمكن لأى قوة فى العالم أن تغير رأيى ، لننتقل إلى موضوع آخر فمن العيب الاستمرار فى موضوعنا هذا . ثم أدرنا دفة الحديث فى شتى الموضوعات ، وانصرفنا بسلام ، بعد ذلك لم تمكثا بالقرية طويلا فقد رحلنا بعد أسبوع إلى لندن وقد ودعتهما إلى محطة القطار ، و بعد أن تحرك صاحت " إينا " :

— اذا غيرت رأيك فسنكون بانتظارك على الرحب والسعة .

و بعد مدة قصيرة قرأت نبأ زواج " إينا " من المليونير " دنس بارون " وقد نشرت الصحف صورتهما ، وقد أرسلت لى إينا رسالة من الريفيرا حيث تقضى شهر العسل .

أما جنفر فإن جمالها وفتنتها ومقدرتها قد جعلت لها مكانة مسرحية تنبىء بمجد عظيم ومستقبل زاهر .

ظلت الصديقتان تكتبان لى بعد ذلك فى فترات متباعدة ، عن أخبارهما ، فإينا تحدثنى عن حفلاتها ومعارفها وأصدقائها وجنفر عن عظمتها ومجدها وروايتها الجديدة ، أما أنا فقد أضاع الجفاف المحصول الأول الذى كنا نرجوه ، وقد حركت هذه العوامل فى نفسى شعور الحسد والكراهة لزميلتى رغما عنى ، والظاهر أن هذا الشعور طبيعى فى البشر ذوى الطبيعة

الطبيعية . أما بيتر فكان يعمل بجد ونشاط ، وكان خجلا منى فى أشد حالات الارتباك لضياع المحصول ، ولكن ماذا يمكنه أن يفعل ! !

وفى مساء يوم شديد الحرارة بينما كنا نترقب لفحات النسيم فى الحديقة قال لى بيتر : كنت أتمنى أن أوفر لك الراحة والسعادة ، ولكن هذا الجفاف أفسد على متمناى . . ولكن الحزن عقد لسانى فلم انطق بنت شفة كما يقولون ، وبعد برهة قلت له "لاتيأس ياعزيزى ، يجب أن ننتظر ونأمل خيرا فى العام المقبل".

ولكن الشتاء التالى أتى ومعه برده القارس ، وثلجه المتساقط الذى يبرأ الأبدان ويقلص الأطراف ، الريح تعصف والطبيعة تثور ، والعواصف تزأر حول منزلنا كالحيوان الهائج ، وليس عندنا ما يقينا شر البرد ، ولا ما يقينا مطالب البدن .

وكان بيتر لا يفتأ يتحدث عن المستقبل وآماله فيه وما ينتظره على يديه ، وكنت وهو يحدثنى بآماله أو أوهامه أنظر بحزن للخطابين اللذين وصلانى من جنفر و إينا ، فالأولى تتحدث فيه عن فروها الجديد . والاخرى عن مجدها التليد .

أطبقت شفتى خوفا من أن أنبس بشىء أندم عليه فى المستقبل وقلت لنفسى وأنا حزينة يائسة :

سيكون العام القادم أحسن من سابقه ولا شك .

ولكن جاء العام القادم وتكررت معه مأساة سلفه ، وحاولت أن أتجمل كالماضى فلم أستطع وعجزت عن المقاومة ، وكنا فى المطبخ وهو الغرفة الدافئة نوعا فى الدار فقلت لبيتر فجأة وبلا مقدمة :

« بيتر ... سأذهب إلى « لندن » ... وساد صمت رهيب قطعته بقولى : لقد دعتنى « إينا » ... ويجب أن أذهب" .

كانت نغمة اليأس التى تشيع فى صوتى أدهشتنى ، فأمسكت ، أما بيتر فقد نظر إلى بدهشة ، وقد سقطت من يده المجلة الزراعية التى كان يطالعها ، وابيض وجهه حتى كاد يحاكى وجوه الموتى ، لكنه ظل صامتا . فقلت :

« إننى آسفة » ... قلتها وأنا أكاد أختنق « لقد حاولت ... وانتظرت ... وتجنبت ولكن بلا جدوى ... فالحال هو هو ... والحظ هو هو ... وكرت أعوام ثلاثة لم يتزحزح الحظ عن موقفه قيد أنملة ... فعجزت عن المقاومة ... وسئمت الوحدة والعزلة ، وأريد أن أتمتع بالحياة الحقيقية الحياة الحافلة بالمسرات النابضة بالمرح واللهو . أريد أن أرى السهرات الليلية والرقص حتى الفجر ، أريد الملابس الحريرية الزاهية والجواهر الساطعة والفراء الثمين الدافىء ... أريد كل هذا ولست أريد أن أفكر فى إصلاح السقف وانتهاء الوقود ونفاد المسلى ووو الخ من هموم الحياة ... إننى أريد تلك الحياة ... أريد الحياة الحقيقية ... » وساد

الصمت بيننا، وكان يخرجنا عنه صوت نيران الموقد وهى تخرج ألسنة من اللهيب تتراقص كالشياطين والأبالسة ... فتخيلت المواقد الكهربائية ، والثلاجات الفخمة والعربات الفارهة التى تسير فى الشوارع فتخطف ببريقها وسرعتها الأبصار، بدلا من تلك التى تتعب أكثر مما تريح . ونحن كلما دبرنا شيئا من المال نجد أن أمامنا بقرة مريضة تحتاج إلى الطبيب والدواء أو نجد المخزن فى احتياج إلى إصلاح او نجد الجليد ينهمر ليلا فيقسو علينا العمل المتواصل فى الزراعة منذ شهور عديدة" .

كان بيتر ينظر إلى بعينين يائستين وهو صامت فلم أتمكن من تحمل هذه النظرة فذهبت إلى النافذة وهناك رفعت عينى على تلك المزرعة الجدباء من تأثير البرد القارس وتذكرت كيف يظل بيتر منهمكا فى الزراعة أثناء الربيع حتى تخور قواه ثم يكون المحصول كما كان فى الأعوام السابقة فتتلاشى كل الأمانى والآمال العذبة التى كانت تداعب خيالى . قال بيتر وقد وقف بجانبى ووضع ذراعه حول وسطى "دودى" إنى أعرف ياعزيزتى ما أنت فيه من الشقاء ولكن لا تذهبى فكل شىء سينفذ .

— هذا ما كنت تقوله دائما ... بيتر تعال معى إلى لندن وهناك نجد عملا يدر علينا شيئا من المال .

— إنك تعلمين أن هذا هو المستحيل فإنى لا أجيد شيئا سوى الزراعة وبجانب ذلك ليس من السهل أن أجد عملا هناك . أما هنا فعلى الأقل لنا منزلنا ولنا ما يكفينا من الطعام.

— لنا منزلنا الذى تتجمد فيه من شدة البرد ونحترق من الحر . علام يجب العيش هنا أنظر إلى إنى فى الثانية والعشرين وكأنى قد بلغت المائة .

بيتر إننا سنقتل انفسنا فى مزرعتك العزيزة.

— ولكن حظنا سيتغير يا دودى .

إنى أعلم أنه لا يمكننى أن أقاوم نبرات صوته أو لمس يده ولذلك ابتعدت عنه قائلة سأذهب فالنقود التى أخذتها من والدتى ووالدى فى رأس السنة كافية لأن أذهب إلى لندن.

ولكن أجرة العودة ؟

سوف لا أحضر ثانية ...

ولكنى ندمت على ذلك فلم أكن أقصد معنى هذه الكلمات ولم أكن أتعمد النطق بها ولكنها اندفعت من فمى دون أن أشعر وذلك بدافع السنين التى مرت فى ضنك وعناء . وقلت متابعة "سأجد عملا فى لندن فإن لم تنتهز الفرصة معى فسأنالها بمفردى فأى عمل خير من المكث هنا .

وكان يبدو عليه كأنه طعن طعنة نجلاء، وقد أحببت أن أرتمى بين ذراعيه وأسأله المغفرة ولكنى تفوهت بما لا يحق لى أن أنطق به فعزيت نفسى بقولى إنه قاس و إنه محب لنفسه. ولو كان يشعر بشىء من الحب نحوى لعمل على إخراجى من هذه المزرعة .

إذن إذن هذه هى النهاية يا دودى ؟

نعم إذا كنت لا زلت متمسكا بمزرعتك. ولم أكن أسمع سوى صوت الرياح وضربات قلبي حتى قال بيتر :

"حسنا . وأنا ليس لى الحق فى أن أسألك وأطلب إليك المكث هنا إذا كنت قد كرهتنى . ولكن تذكرى شيئا واحدا وهو انى سأحبك دائما" .

"إنى أحبك أكثر مما تتصور يا بيتر ولكنا اومكثنا هنا فلا شك أنه سيكون كل منا للآخر" ...

إنى لن أكرهك أبدا وقد علمت الآن انه ما كان لى أن أتمسك بك . وبالرغم من ذلك . عندى قليل من النقود ربما تحتاجين إليها هناك ... كلا ... لا تجادلى (قال ذلك لأنه يعلم أنه قد اقتصد شيئا من المال لشراء بذله جديدة هو فى حاجة إليها) هذا آخر ما يمكننى عمله وإنك أنت ولا شك تريدين أن تحزمى أمتعتك .

ووصلت فى قطار الصباح الى لندن وفى الدقيقة التى تحرك فيها القطار رأيت بيتر واقفا وحده فهزتنى رعشة من الخوف وتخيلت الحياة من غيره وحرمانى من جلساته الهادئة ولكنى عدت أتذكر سقوط الجليد فرأيت أنه من الواجب والصواب أن أرحل بعيدا فتمالكت شعورى ونطقت كلمة الوداع .

لم يسبق لى أن قمت برحلة طويلة كهذه ، ومع ذلك كنت قد أرسلت تلغرافا الى إينا التى انتظرتنى على المحطة .

نادتنى بعد أن طرحت قراءها الفاخر حول كتفى . عزيزتى . إنى سعيدة بأن أراك ثانية ... ثم قالت وهى تلتفت الى سائق عربتها : لورنج خذ حقائب مدام . برادنتج .

معى فقط هذه الحقيبة. رفعت إينا حاجبيها فى دهشة ولكنى لم أحفل بذلك فقد كنت فى غيبوبة حيث أجد نفسى فى لندن . وفى منزل إينا خصصت لى حجرة بها أثاث فاخر أغرانى بأن أرتمى على أحد كراسيها المريحة وأنا فى دهشة أنقل بصرى بين ستائر النوافذ الفاخرة الموشاة بالذهب وذلك السجاد المصنوع من الصوف الأبيض وهذا السرير العظيم الذى لا تتسع له حجرتى الحقيرة فى منزلى الصغير . قطعت على إينا نظراتى بقولها . إن أول شىء تعملينه الآن هو أن نستدعى سلتين تعنى بشعرك وجلدك وأظافرك . حقيقة يادودى لقد أسأت معاملة نفسك .

لم أغضب لصراحتها ولكننى قلت فى هدوء "ليس فى المزرعة متسع من الوقت للتجميل".

"مسكينة يا دودى . لا بد أن الحياة هناك كانت لا تطاق" .

"بل العكس ياعزيزتى إنها أوقات جميلة هانئة تلك التى كنت أتريض فيها مع بيتر على شاطئ البحيرة وعندما نعود إلى المنزل على عربة التبن تحت أشعة النجوم الساطعة" .

"ستقضين أوقاتا جميلة هنا، وستكونين فى ضيافتى مدة طويلة قبل أن تبحثى عن العمل الذى تقولين عنه" .

"اتكأت على الوسادة اللينة وقلت لها : وهكذا تحقق حلمك فهل أنت فى منتهى السعادة يا إينا".

"طبعا سعيدة والآن سأتصل بالتلفون بصديقاتى كى يحضرن الليلة".

" جنفر أيضا " .

"نعم ولكن من بعد انتهاء عملها فى المسرح . ولكن ربما لا تسرين منها الآن فقد تغيرت بعض الشيء" .

وانقضى عصر ذلك اليوم فيما قامت به سلتين من الاعتناء بى واستعمال الكريم والروائح . ولكن لم يكن عندى ملابس مناسبة أحضر بها الحفلة . فأعارتنى إينا بعض ملابسها . وبعد أن انتهت سلتين من عملها وقفت أمام المرآة فى دهشة عظيمة فقد بدا شعرى اللامع الموج مسدولا على كتفى . والثوب القرمزى قد جعل منى تحفة نادرة . وكان فى عينى بريق عجيب وعلى شفتى ابتسامة هادئة . أما إينا فقد نظرت نظرة ذات معنى وقالت فلنتزل الآن فإن دانس يريد مقابلتك . كان دانس بادنا أسمر اللون طويل القامة وقد بدت عليه علامات الهدوء وغمرنى بنظرة غريبة لم أفهم معناها .

" أهذه هى صديقتك الريفية ؟ " قال ذلك وقد أمسك يدى مدة أطول من اللازم .

"لم تقولى لى يا إينا انها جميلة إلى هذا الحد" .

اقترب منى الرجال الآخرون وإنى أعلم أن النساء قد كرهننى . ولكنى كنت فى شعور آخر تحت تأثير ما كان يهمس فى أذنى من كلمات أثناء الرقص . وقد رقص دانس معى عدة مرات حتى بدأت أسترق النظر إلى إينا التى كانت منسجمة مع رجل آخر ولكن نظرها كان متجها إلينا فى كل لحظة فقال دانس . انك لازلت طفلة رعديدة . . . لا تعبئى بإينا فإنى لا أهتم بها وقبل أن أجد إجابة لذلك رأيت جنفر وقد رفعت رأسها عاليا وكانت ملابسها الموشاة بالذهب تلمع تحت ضوء البهو وأخذت تخطو كأنها أميرة صغيرة . قالت بصوتها الموسيقى النبرات " دودى" . وأخيرا حضرت إلى لندن ؟ إنى كنت واثقة من أنه سوف لا يمكنك البقاء فى المزرعة" .

لقد كنت مشتاقة لحديث طويل مع إينا وجنفر ولكنى لم أتمكن من ذلك فى هذه الليلة فقد كانتا محاطتين بالرجال وكذلك أنا لم أحرم من الأصدقاء . فكم هو رائع أن أشعر بالمرح والسرور والشباب مرة اخرى .

مرت الأيام فى المسارح والنوادى الليلية وحفلات الرقص حتى الفجر والأضواء والموسيقى والملابس الفاخرة فلا عناء فى التفكير فى مخازن الغلال أو كمية القمح بل مرح وتمتع للنفس .

"إنك كالطفلة فى حفلة عيد الميلاد" . هذا ما قاله لى فى الشرفة بينما كان الآخرون يرقصون داخل البهو فى منزل أحد الأصدقاء وكان قد سار بى إلى هذه الشرفة ليريني أنوار لندن .

"إن عندك من الوقت ما يجب أن تنتهى به . ألا تعرفين أنه من الواجب أن تأملى فى كل شيء" .

"ليس لى أن آمل فى شىء أكثر من ذلك . إنى أقضى وقتا سعيدا هنا وكل شخص أمامى فى غاية الظرف" .

"إن من الواجب أن يكون الانسان ظريفا معك يادودى" .

كان وجهه قريبا من وجهى حتى أنى شممت رائحة الوسكى منه فأدرت وجهى بعيدا عنه ولكنه أمسك بذقنى ودفع وجهى نحوه . "انك رائعة يادودى . سوف لا تفودين إلى ذلك الفلاح وسوف لا أدعك تبحثين عن عمل هنا . كم أحب أن يكون فى منزلى فتاة جميلة ذات عين فى جمال عينك" .

"دانس . لا تقل ذلك". وحاولت أن أضحك "إنك طبعا لست جادا فى حديثك. أظن أنه يجب أن أدخل الآن . . . "

كانت ذراعاه حولى فنظرت إلى وجهه ولمحت البريق الغريب فى عينيه والتصقت شفتاه بشفتى فى عنف بغيض ولم يمكننى أن أتحرك مدة وجيزة تمكنت بعدها من أن أدفعه بكل ما أوتيت من قوة وأن أصرخ فيه . كيف تجرؤ على ذلك إن إينا صديقتى .

" لا توهمى الناس أنك جميلة وبريئة " ثم قال ضاحكا وفى عينه نظرة مخيفة . "لقد تركت زوجك . أليس كذلك ؟ حسنا وبعد هذا لا تكلمينى أنا عن الاخلاص" .

ثم حاول أن يجذبنى إليه بوحشية مخيفة وهو يقول "أحببتك أيتها التعسة بعد ما كرهت إينا الضعيفة الحائرة" .

إينا الضعيفة الحائرة قال هـذه الكلمات بصوت جنونى مرتفع قطع عليه كلامه فقد وجد إينا أمامنا وكان وجهها ممتقعا وعيناها غائرتين وفى يدها مسدس أشارت به إلى قلب دانس . لقد قاومت بقدر ما أمكننى .

همست إينا قائلة "كنت مصممة ألا أهتم بك بينما كان كل أصدقائنا يسخرون منى ويشفقون لحالى" .

قال دانس وقد جمد فى مكانه من شدة الفزع .

"إينا . أخفضى هذا المسدس" .

"لقد كنت فى منتهى الغباء . فى منتهى الغباء ! ! هذا ما كنت تعمله منذ زواجنا ولكنى سوف لا أدعك تستمر فى ذلك فإنى سأقتلك ثم أقتل نفسى . إنك خائف من أن تموت . أليس كذلك؟ أما أنا فلست خائفة وسأموت على أى حال وقد أمتنى أنت منذ ثلاث سنوات".

وقد لاحظت عليها أنها ستنفذ مهمتها فقد نسيتنى هـذه اللحظة ثم ضغط أصبعها على الزناد فارتميت عليها وخرجت الرصاصة حينما دفعت يدها الى أسفل فأصاب المقذوف أرض الشرفة . ثم حملقت إينا إلى و إلى دانس و إلى المسدس الذى كان لا يزال يدخن فى يدها

ثم ارتمت على الأرض وحينئذ ظننت أن الناس سيخرجون على صوت الطلقة ولكن الموسيقى والضحكات كانت حائلا بين سماعهم لصوت المقذوف .

وهزتنى رعشة قوية فإن هذه هى الحياة التى طالما أردت أن أعيشها حياة المرح والسرور ولكنها تحوى فى أعماقها أشياء مفزعة كالبحيرة الجميلة ذات القاع الملىء بالطمى والأشواك . ولما انحنى دانس ليرفع إينا تسللت إلى الخارج ثم ذهبت إلى حجرتى فى منزل إينا وجسمى يرتعش فأخذت حقيبتى وذهبت الى جنفر .

"قالت متعجبة حينما رأتنى . دودى إنك شاحبة كالأموات . ما ذا جرى ؟ " .

قلت : جنفر أيمكننى أن أبيت معك ؟

"بكل تأكيد" .

لم تسألنى أسئلة أخرى ولكنها وضعتنى فى الفراش كأنى طفلة صغيرة ثم سمعتها تحدث ضيفها وسمعته يحتج ولكنه رحل أخيرا .

"والآن لماذا كل هذا" . قالت ذلك وقد جلست بجانبى على السرير بينما كنت أشرب ما أحضرته لى من اللبن الساخن .

"لا يمكننى أن أقول لك" .

إذن فهو دانس . إنى أعرف أن هذا كان سيحصل حتما . لقد كانت إينا غيبة لزواجها منه فقد كانت تعرف سمعته ولكن كان مقدرا أن تكون غنية وأن تظهر فى الأوساط الاجتماعية ولكنها الآن تدفع ثمن تحقيق حلمها ثم أخذت من يدى الفنجان الفارغ ووضعته على المائدة بجانب السرير ، وكانت على هذه المائدة صورة رجل فى مقتبل العمر يبدو عليه سيماء الثراء فاحمر وجه جنفر حين رأتنى أنظر الى الصورة ولكنها لم تعقب على ذلك .

أتذكرين ذلك اليوم الذى كنا نتحدث فيه عن مستقبلنا فى منزلك . لقد حصلت إينا على رجل غنى ونلت أنا الشهرة . وتزوجت أنت بيتر وانظرى إلينا الان .

قلت وأنا أنظر الى الصورة ولكن !

هذا ما أعنى لقد أحببت ميشيل ولكنه كان فقيرا وليس له أى تأثير فى المسرح وكانت لى الموهبة ولكنها ليست كافية لنظهر فى الأفق إلا بعد عدة أعوام ولكنى أردت أن يتحقق حلمى سريعا فلذا تركت ميشيل وأسلمت نفسى الى جون ، وهذا هو السبب فى أنى بلغت القمة فى هذا الوقت القصير .

أوه جنفر !

كانت فى أثناء حديثها بائسة كفتاة فقدت أعز شىء لديها . ولكن حينما تنبهت لصوتى تغيراونها وكساه قناع الكبرياء الزائف وستار التصنع الذى كانت تلبسه دائما لتخفى حقيقتها .

"لقد دفعنا ثمنا باهظا لتحقيق أحلامنا فقد ضحيت أنا و إينا باحترامنا أمام الناس . أما أنت فتدفعين ثمن حلمك التعب فى المزرعة ومع ذلك تظنين أنه ثمن باهظ . إنك لست سوى غنية صغيرة" .

دفنت وجهى بين يدى وانهمرت الدموع من عينى فأحاطتنى جنفر بذراعيها و بعد برهة انقشع قناعها وقالت . "عودى الى بيتر واشكرى الله أن جعل لك من تذهبين اليه . إينا لم تحب أحدا حقيقة أما ميشيل فقد وجد أخرى . ولكن لا بد أن نستمر فى الطريق الذى اخترناه وكذلك أنت ولكن يادودى ... إن طريقك أحسن من طريقنا" .

"ربما ... أوه جنفر ... ربما وجد بيتر كذلك فتاة أخرى" .

"لماذا لا ترحلين فى قطار الصباح . ولكن تذكرى أن أى مشقة هناك لا تعتبر تعبا فاعملى حتى تموتى . قالت ذلك بمرارة ويأس .

ودعتنى جنفر فى قطار الصباح وسافرت الى وستمورلاند وكنت أنا فى القطار أفكر فيما أفعله اذا أعرض بيتر عنى . ولما وصلت وجدت بيتر وفى عينه بريق الحب والأمل .

قال وقد أخذنى فى لهف بين ذراعيه . أوه دودى جنفر أرسلت لى تلغرافا أنك ستحضرين . . . ولكنى لم أكد أصدق . عزيزتى لقد حرمت منك طويلا .

"أوه بيتر . سامحنى لقد كنت غبية" .

بل أنا الغبى سأبيع المزرعة ونذهب إلى لندن .

لا . سنمكث هنا فى مزرعتنا . فلن تهمنا الصعوبات ولا تهمنا الحراراة ولا البرودة ولا الحشرات و إن كان كل ذلك فأمامنا أعوام أخرى ولا يمكن أن ننفصل ما دام كل منا يريد الآخر .

نظر إلى كأنه قد فتحت أمامه أبواب الجنة وشعرت أنا بالعظمة والسعادة معه فقلت . فلندع اسم إينا ينشر فى أعمدة الاجتماعيات . ولندع اسم جنفر يكتب بالأنوار الكهربائية . أما أنا فاسمى محفور على قلب الرجل الذى أحبه .

تم طبع هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم السبت ١١ رمضان سنة ١٣٦٢
(الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٣) ما
مدير المطبعة الأميرية
محمد بكرى